محمود درويش

قصيدة رقيبة

١ ـ خليل درويش : موزع صحف قتل ولداه فهد درويش ومحمد درويش وصهره محمد جميل الخليل على حاجز اقامه مسلحون قرب قصر العدل في بيروت صباح الخميس ٢ تشرين الاول وهم في طريقهم الى توزيع الصحف .

كان يعرف
انه لن يجد الازهار في روما
ولكنّ الطريق
اخذت ساحله الفضيّ في صور
واعطته الحريق ..
قبل روما احترق القلب على ابواب روما
ـ وهل العمو طويل ؟
ـ يا خليل
ليس في الميناء قمح ، والجرائد
ملأت اوراقها قتلى وجرحى .. وموارد
وتبيع اليوم اكثر !
كان يعرف
ان شكل الارز لا يشبه طعم الخبز ..
(يا بيروتنا الاخرى ! تجيئين من الاكواخ يوما
وتجيئين ..)
وكان الفجر يأتي حذرا من غابة الصفصاف ..
كان البحر محمولا على سيارة الاسعاف ..
لكن طريق الخبز لا تخدع من يمشي
وبيروت رغيف ورصاص وخريف ..
كان يعرف
انهم قد اطلقوا النار على الخبز .. على الماء ..
على الطفل الذي يأتي من الرحم الى الاسم . على اي
حال عابر في افق بيروت ، ويعرف ان بيروت التي
تخرج من منع التجول
فندقا ضخما ، نساء عاريات ورصاصا في القرنفل
هي بيروت التي يعرفها
هي بيروت التي نامت على ساحله الفضي في صور ،
ولا يعرفها
(آه يا بيروت .. يا طائفة البحث عن الخبز المغطى
بالدخان اتحدي !
آه يا بيروت .. يا خادمة الحرب ويا عاصمة
السلم السياحيّ الممل اتحدي !)
كان يعرف
ان بيروت النظيفة
طردت اولاده من مهرجان القمح في صور ،
ومن كلية الجيش ، ومن باب الوطيفة .
كان يعرف
ان بيروت الفوارق
هي بيروت الحرائق !
كان يعرف
ان فهدا
ومحمد
ومحمد
وصلوا الان الى حاجز قصر العدل ،
والموت هواء وسطوح وشبابيك رماء
كان يعرف
ان حرب الفقراء
لم تجيء من آية الكرسي حتى الان .. لم تفتح
قبور الشهداء
كان فهد
ومحمد
ومحمد
يذبحون الان . كان الفجر في لحظته الاولى ..
وكانت شارة الارز تغطي القتلة
وتغطي نار بيروت ..
وكانت نار بيروت تغطي القتلة
وتغطي شارة الارز ..
وكان الارز لا يشبه طعم الخبز
بيروت رغيف ورصاص وخريف
كان فهد
ومحمد
ومحمد
يذبحون الان . كادوا ان يحاذوا شاطيء الخبز
.. وكادوا ان يروا شكل الرغيف الساخن ، اليوم
الجديد ، الارزة الشعبية ، الاعلان عن يوم ربيع
وخليل
كان يعرف
انه لن يحمل الموتى الى اكشاك بيروت غدا
لن يبيع
دم فهد
ومحمد
ومحمد
صار يعرف
ان قصر العدل لا يسكنه العدل
وان الخبز انجيل العدالة !..

٢ ـ ابراهيم مرزوق : رسام لبناني استشهد صباح الاربعاء ٨ تشرين اول ، عندما كان يقف في انتظار نصيبه من الخبز امام فرن في محلة الرفاعي

كان يوما غامضا منذ الفسق
تخرج الشمس الى عادتها كسلى ..
رمادٌ غير عاديّ يسد الافق الشرقيّ ..

كان الماء في اوردة الغيم وفي كل انابيب البيوت
يابسا ..

كان خريفا يائسا في عمر بيروت
وكان الموت يمتد من القصر الى الراديو الى
بائعة الجنس الى سوق الخضار
ما الذي ايقظك الان
تمام الخامسة
وثلاثين قتيل !

عد الى النوم ، فان الوقت موت وحرائق
كان ابراهيم رسام المياه
ورصيفا للزنابق
ورديئا عندما يولع بالفجر

ولكن لابراهيم اطفالا من الليلك والشمس ، يريدون
رغيفا وحليب
كان ابراهيم رساما واب

كان ابراهيم حيا من دجاج وجنوب وغضب
وبسيطا مثل قمح وصليب !..

المساحات صفيره
مقعد في غرفة . لا شيء .. لا شيء
وان الرسم بالماء وطن

والتفاصيل لكم . وجهي انا برقية ..
هل تقرأون الماء كي نتفق الان ؟
البياض الاسود احتل المسافات
انا الورد الذي لا يوميء

القيد الذي يأتي من الحرية ـ الفوضى او العجز
الذي يأخذ شكل الوطن ـ البوليس ..

هل كان الوطن
انطباعا ام صراعا
وضياعا ام خلاص ؟

كان يوما غامضا . وجهي انا برقية الحنطة في
حقل الرصاص .

ما الذي ايقظك الان
تمام الخامسة
وثلاثين قتيل ؟

لم يكن للخبز في يوم من الايام
هذا الطعم . هذا الدم . هذا الملمس الهامس .
هذا الهاجس الكونيّ . هذا الجوهر الكلي .
هذا الصوت . هذا الوقت . هذا اللون . هذا
الفن . هذا الاندفاع البشريّ . السر . هذا
السحر . هذا الانتقال الفذ من كهف البدايات
الى حرب العصابات الى المأساة في بيروت ..
هل كان يموت ؟
لا .
كان ابراهيم في اوج اكتشاف الخبز ..
يستولي على اللون النهائيّ

ويستولي على سر العناصر
كان رساما وثائر

كان يرسم ..
وطنا مزدحما بالناس والصفصاف والحرب
وموج البحر والعمال والباعة والريف
ويرسم
وطنا مزدحما بالوطن المطحون
في معجزة الخبز
ويرسم

مهرجان الارض والانسان : خبزا ساخنا عندالصباح
كانت الارض رغيفا
كانت الشمس رغيفا
كان ابراهيم شعبا في رغيف !
خبئوا عنه الخريف
خبئوا عنه دمه
خبئوا عنه اليد المتهمة
خبئوا عنه المياه اليابسة
ليتم اللوحة المقتحمة
ليتم الملحمة
انه الان نهائيّ . تمام السادسة

دمه في خبزه
خبزه في دمه
الان
تمام السادسة !..